رسالة المربي

الحرية ... المعنى الحقيق لها ... صلتها بالتربية ... تحديد رسالة المربي

للأستاذ كمال السيد درويش

(تابع)

لقد اختلف الناس حول تفسير الحرية منذ القدم وسوف يظلون على اختلافهم هذا . وهل ينعم المجتمع الإنساني حتى الآن بالحرية كما يجب أن تكون ؟

إن أول معنى للحرية هو هذا الذي فهمه الإنسان الأول حين كان يسعى في الغابات : حرية مطلقة غير مقيدة اللهم إلا بقيود البيئة التي يعيش فيها

ثم تطور معنى الحرية بنمو المجتمع الإنساني وظهور التقاليد تلك التي استبدت بحرية الإنسان وأخذت تسلبه إياها رويدا ورويدا حتى شعر في النهاية بسلطانها الديكتاتوري فقام يثور ضد عبودية التقاليد ... قام يستعيد حريته الأولى ... حريته المطلقة

عرف الإنسان الحرية بمعناها المطلق وما كاد يبتعد عنها حتى عاد إليها . وهذه هي الحرية التي نادى بها جان جاك روسو : «لقد ولد الإنسان حرا .. »

ولكن الحرية المطلقة كانت نكبة على الإنسان فنفر منها وهجرها . وكيف لا يفر منها وقد وجدها تقتل نفسها بنفسها فتستحيل بذلك إلى الديكتاتورية بعينها . ألست حرا في أن أفعل ما أشاء ؟ وغيري أليس بدوره حرا ؟ سأستعبده بحريتي المطلقة ؛ وسيستعبدني بدوره وهكذا يصبح كل منا عبدا للآخر

جرب الإنسان الحرية المطلقة كما جرب الديكتاتورية فوجد أنهما اسمان لمسمى واحد ؛ ذلك هو العبودية. وواجهته المشكلة فماذا فعل لحلها ؟ لقد لجأ إلى الحل الوسط : يجب ألا يتمتع بالحرية هكذا مطلقة من كل القيود كما يجب ألا يعيش بدونها . الحرية المقيدة هي علاج حيرة الإنسان

وخرج الإنسان من المشكلة ليجد مشكلة أخرى أشد تعقيدا، حقا يجب تقييد الحرية ولكن إلى أي حد يجب تقييدها ؟ !

ما أكثر القوانين التي وضعت لتقييد الحرية فإذا بها تلتف حول عنقها لتخنقها وتزهق روحها ؟ ! ما فائدة تقييد الحرية إذا كان تقييدها سيسلبنا إياها ؟ ما الفائدة إذا كنا سنصيح مرددين: إيه أيتها الحرية ، كم من الجرائم ترتكب باسمك ؟! لا بد من تحديد المدى الذي يجب أن نذهب إليه في تقييد الحرية حتى لا ننقلب إلى ديكتاتورية وعبودية . ولكي نحدد المدى سنسير مع الطريقة النفسية فنسأل أنفسنا أولا :

ما هو الغرض من تقييد الحرية ؟! أليس الغرض هو الكف عن ضرر إطلاقها المحافظة عليها ؟ لتكن قيود الحرية هي تلك القيود التي تؤدي حقا إلى تقدمها ونموها لا إلى تأخرها وضمورها

وهنا تتضح الصلة الوثيقة بين التربية وبين المعنى الحقيق للحرية التربية قيد ووسيلة . هي قيد نقيد به حرية المتعلم كوسيلة من وسائل المحافظة على نمو هذه الحرية وازدهارها . وهذا مقياس يمكن أن نقيس به نجاح التربية في الوقت الحالي . أهي قيد يزيد في حرية الإنسان وفي مدى تمتعه بالحياة ؟ أم هي عبء ثقيل حرم الإنسان حريته صغيرا ولا يزال يسلبه إياها كبيرا ؟

هذا الطفل الناشئ ! لماذا نعلمه ؟ أليس غرضنا من ذلك أن نجعله أقدر على فهم مجتمعه والاندماج فيه والتمتع بأكبر قسط من الحرية في الحياة ؟ ألسنا نزوده بخبرة من سبقه من الناس لينتفع بها في التغلب على ما يصادفه من عقبات؟ وكلما تمكن من ذلك اتسع مجال الحرية أمامه لينعم بالحياة ؟ إن التربية قيد ضروري لحرية الإنسان وهي بذلك جزء لا يتجزأ منها

وعلى العكس من ذلك لو زودنا الطفل بتعليم جاف جامد ليست له أية قيمة علمية في الحياة لن يستفيد منه قط ولن يستخدمه في تذليل ما سيصادفه من مشاكل وعقبات — وما أكثرها — في الحياة . لم يعطه ذلك التعليم أية حرية في الحياة . وهكذا يصبح في نظره مجرد قيد لا أكثر ولا أقل . . مجرد عبء يضاف إلى أعبائه فيثقلها، ومشكلة تضاف إلى مشاكله فتعقدها، وينكون مثل المتعلم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا

يتضح من ذلك أن رسالة المربي يجب أن تكون في العمل بالطريقة السيكولوجية (النفسية) لا المنطقية وفي التخلص من ديكتاتورية التقاليد وفي توطيد دعائم الحرية . . الحرية المقيدة

٣ - ألمانيـــا

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »
صدق الله العظيم

مطالب :

لمصر فى عصرنا الحاضر قضيتان أو إن شئت قضية واحدة ذات شقين : الجلاء والوحدة ؛ فمصر لم تعد تحتمل استمرار احتلال إنجلترا لأراضيها أو لجزء منها . ومهما تقدم بريطانيا من حجج فلن يستطيع المصريون أن يؤمنوا بغير الجلاء حلا . وهم على حق ، فإن احتلال دولة — مهما كانت صديقة — لأراضى دولة أخرى أو جزء منها يعتبر عدوانا عليها واعتداء على استقلالها وأمر لا يقبله عقل سليم أو يرضاه وطنى مخلص

وكذلك لا تستطيع مصر أن تقف مكتوفة الأيدى وهى ترى وحدة الوادى تتحطم أمام عينيها ، وهى وحدة أقامتها العوامل الجغرافية والتاريخية واللغوية والدينية . إن مصر لا تطلب سيادة على السودان وإنما تريد أن تعيد وحدة وادى النيل التى أقامها محمد على الكبير منذ سنة ١٨٢٠ وإنشاء دولة قوية موحدة من مصر والسودان؛ للسودانى فيها ما للمصرى من حقوق وعليه ما عليه من واجبات

وبريطانيا ما تزال تقف حجر عثرة فى سبيل تحقيق الأمنيتين ، بل إن وزيرها موريسون يعلن فى خطابه بتاريخ ٣٠/٧/١٩٥١ أن على شعوب الشرق الأوسط أن تخفف من غلوائها الوطنية وأن تقبل الأمر الواقع . ويزيد أن إسرائيل أقيمت لكى تبقى ولا يمكن إلقاؤها وإلقاء أهلها فى البحر ، وأن بريطانيا حريصة على بقائها . ونحن نسائل الوزير البريطانى : كيف جاز لكم أن تلقوا بالعرب الآمنين من أهالى فلسطين خارج بلادهم وأوطانهم فى بادية جدباء ، وأرض قفر لا زرع فيها ولا ماء ؟

أيها الوزير : أنت لا ترضى أن تلقى بإسرائيل وأهلها فى البحر، فأمامك العرب العزل المشردون فألق بهم فى البحر إن لم يعجبك إلقاؤهم فى البادية

أيها الوزير :

لقد أثمتم فى حق بريطانيا وفى حق التاريخ ، فجرائمكم فى الشرق الأوسط ستظل وصمة عار فى جبينكم ، وعليكم إن أردتم أن تكفروا عن ذنوبكم أن تردوا الحقوق إلى أهلها . فليرجع عرب فلسطين إلى أوطانهم ، ولتعط مصر حقوقها كاملة غير منقوصة، فإن ذلك هو الطريق إلى الاستقرار فى الشرق الأوسط . لقد صبرنا على عدوانكم سنين طوالا ولم يبق فى قوس الصبر منزع . إن كل مصرى يهتف من أعماق قلبه فى وجوهكم أن « اخرجوا من بلادنا »

وإنى فى هذا الحديث أقدم لمواطنى قصة قيام ألمانيا الحديثة عسى أن نتخذ منها مثلا والله ولى التوفيق

استعراض جغرافى :

كانت ألمانيا مقسمة إلى عدة ولايات ودول كانت مملكة بروسيا أعلاها شأنا ، وكانت السيادة على العالم الألمانى للنمسا فلم

لا المطلقة ؟.. والحرية المقيدة بأى نوع من أنواع القيود؟! بالقيود التى تزيد فى الحرية نفسها

هذا هو الأساس الفلسفى لرسالة المربى فى الحياة سواء أكان مدرسا أم غير مدرس . وتلك هى الخلاصة التى استخلصتها الإنسانية خلال العصور، وبعد أن جربت مختلف الاتجاهات فلم تنته إلا إليها، والتى تتمثل فى كتابات كبار فلاسفة التربية فى الوقت الحالى

ولكن . . كيف يمكن إخراج هذا الأساس الفلسفى إلى خير الوجود العملى ؟!

سوف يكون ذلك موضوع المقال القادم بإذن الله

كمال السيد رويشه
ليسانسيه الآداب بامتياز — دبلوم معهد التربية العالى
مدرس بالرمل الثانوية